ادب الندیم

ادب النديم

من عطايا الملك المنان لعبده الفقير
علي بن السيد محمد بن السيد علي

ادب النديم

لأديب زمانه وأريب عصره وأوانه
أبى الفتح محمود بن الحسين الكاتب
المعروف بكشاجم لازال
منهلا عليه احسان
ربه الكريم
الدائم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أما بعد حمد الله بكنه النية والثناء عليه بغاية الاستطاعة وشكره
على ما خص به أهل الادب من الفضيلة وأحلهم اياه من المنزلة
الرفيعة لالتباسهم بالنفوس وتمكنهم من القلوب وتنزههم عن
العيوب فانى وجدت من تقدم من العلماء وعنى بتاليف الكتب
من الادباء قد جردوا بذكر الشراب كتبا ضمنوها من نعوت
أصنافه وأوصاف محرمه ومحلله وتبيين خصاله ولطائفه وحدود
منافعه ومضاره وضروب ملاذه ومساره وما استغرقوا فيه المعنى
واستوفوا به المدى وأغفلوا ذكر النديم بما يجب ذكره والتنبيه
على منزلته وموقعه وافراده من القول بما يبين عن فضله ويدل على
محله الا فى جمل أدرجوها ولم يبسطوها ولمع فى أطراف الكتب
فرقوها ولم يؤلفوها (فاحببت) أن أجرد فى ذلك كتابا أفصله

وابوبه

وأبوبه وأوفى كل معنى فيه حقه وأضم الى كل شكل شكله وأجمع الى ما استطيبه القريحة أحسن ما وجدته فى هذا المعنى متفرقا فى أمثال الحكماء ومنظوم الشعراء ومنثور البلغاء وأخبار الظرفاء وأودعه من أدب النديم مالا يستغنى عنه شريف ولا يجوز أن يخل به ظريف ليكون منهجا واضحا لمن نظر فيه واماما يقتدى به من وقع اليه واسأل الله حسن التوفيق لسديد المقال والسلامة من الزلل والعثار بمنه وقدرته

باب مدح النديم وذكر فضائله

وذم المنفرد بشرب النبيذ

(أخبرنى) جماعة من الموثوق بهم فى اللغة ان العرب انما سمت النديم نديما لانه يندم على فراقه وفخر امرؤ القيس مع شرفه وملوكيته بالندام فقال

وناد مت قيصر فى ملكه * فأوجهنى وركبت البريدا

وقال المتقدمون كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه وجليسه كله وقالوا اذا رأيت علا فانظر من كاتبك فانما يعرف مقدارك من بعد عنك بكاتبك واستعقل حاجبك فانه يقضى عليك الوفود قبل الوصول اليك بحاجبك واستظرف نديمك فانما يزنك الداخل اليك بمثال من يراه معك * وفاخر كاتب نديما فقال الكاتب أنا معونة وأنت مؤنة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا للشدة وأنت للذة وأنا للحرب وأنت للسلم فقال النديم أنا للنعمة وأنت للخدمة

وأنا للمداوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وأنت تحتشم وأنا مؤانس تدأب لراحتي وتشقى لسعادتي فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين الآن بعض الخلفاء يقول

اذا وجدت المدام فاغن بها * عن كل من فى ندامه سخف
فى شربها من ندامه خلف * وليس فيه من شربها خلف
فلا يشاركك فى السرور بها * مشارك كل شركة أسف

فما زاد بهذا القول على أن بين مكانه من البخل والجهل بل هو فى ذلك كما قال أبو نواس * حفظت شيأ وغابت عنك أشياء * ولعمرى ان للنبيذ الفضائل التى لا تدفع والخصائص التى لا تجحد والقوى التى تعكس الاضداد وتعدل المزاج وتصحح الطباع وهو الموصوف بتشجيع الجبان وتقوية الجنان واطلاق اللسان وتبسيط البنان الا ان فيه بازاء هذه الخلال أشياء تقدح فى محاسنه وتبين عن معايبه منها أن صاحبه يتكرهه قبل شربه ويكلح عند شمه ويغتم أن يفضل فى قدحه ويكثر عتاب ساقيه ويعاقر عليه ويمزجه ليغير طعمه ويتجرعه ولا يكاد يسيغه ويتعذب بالنقل بعده ويعانى من الدوار والخمار ما لا خفاء به حتى لقد قال بعض الادباء لولا أن الخمور ريحها قصته لقدم وصيته ثم السكر هو أكبر عيوبه حتى ان الملل كلها مجمعة على تحريمه غير مختلفة فيه وحتى لقد حرم الخمر فى الجاهلية جماعة من كبراء العرب وأفاضلهم لما نالهم من معرة السكر منهم قيس بن عاصم السعدى وعامر بن الظرب العدوانى وعفيف بن معديكرب ومقيس بن

صبابة

صبابة السهمى وعبد الله بن جدعان وكثير من هذه الطبقة نكره الاطالة بذكر أسمائهم فلقيس بن عاصم فى تحريمها

رأيت الخمر مصلحة وفيها * خصال تفسد الرجل الكريما
لان الخمر تفضح شاربيها * وتجنيهم بها الامر العظيما
اذا دبت حمياها تعالت * طوالع تسفه الرجل الحليما

وقال مقيس بن صبابة

رأيت الخمر طيبة وفيها * خصال كلها دنس ذميم
ولا والله أشربها حياتى * طوال الدهر ماطلع النجوم

فأما مقيس بن صبابة فانه كان سكر فجعل يخط ببوله ويقول نعامة أو بعير فلما أفاق اخبر بذلك فحرم الشراب * وأما عبد الله بن جدعان فانه سكر وجعل يساور القمر فلما أصبح وخبر بذلك حرمه أيضا (وقيل) لاعرابى تشرب النبيذ قال أشرب مايشرب عقلى وقيل لبياذوق لم تركت النبيذ فقال رأيت صاحبه لايروى منه ووجدت بعضه يدعو الى بعض فتركت قليله لكثيره * ومن كان يشربه للشهوة الغالبة فقط ولا يبالى على أى الحالات شربه منفردا وحده أو بجمعه مافيه مع غيره جماعة لايتهمون فى عقل ولا رأى الا أن افراطهم فى هذه الشهوة ابطلهم وغلب عليهم ففسدت حال دنياهم ودينهم منهم أبو الهندى شبث بن ربعى التميمى ومر به نصر بن سيار الليثى وهو يميل سكرا فقال له أفسدت شرفك فقال لولم أفسد شرفى لم تكن أنت والى خراسان * وحارثة بن بدر الغدانى وكان غلب على زياد وغلب الشراب عليه فعوتب زياد فى الاستئثار به فقال كيف

أطرح رجلا هو يسايرني منذ دخلت العراق فلم تصطك ركباه بركابي ولا تقدمني فنظرت الى قفاه ولا تأخر عني فلويت عنقي اليه ولا أخذ على الشمس في شتاء قط ولا سألته عن باب من العلم الا ظننت أنه لا يحسن غيره * والوليد بن عقبة وكان أميرا على الكوفة فصلى بهم صلاة الفجر ثلاثا ثم التفت اليهم في وقت التسليم فقال أحسبكم وأزيدكم * وأبو محجن الثقفي وكان مغرما بالشراب وله مع سعد بن أبي وقاص في الشراب اخبار يطول شرحها ومن لم نذكر أسماءهم من هذه الطبقة كثير فاذا كانت هذه صورة النبيذ فانه يفتقر لما ذكرنا ويجوز فيه ويتجافى عنه لما بني عليه وجعل سببا اليه من اجتماع الشمل وأنس المنادمة وأريحية المذاكرة ولو انفرد النبيذ بنفسه وحصل عليه وحده دون النديم المساعد والسماع المطرب لكان الوعاء أولى به فتبين بهذا أن المعاقر أفضل من العقار والنديم فائدة المدام وأنشدني منشد

لم يكن بيننا رضاع ولكن * ولدت بيننا المدام رضاعا
ان يكن أول المدام رضاعا * أو يكن آخر المدام صداعا
فلها بين ذا وذاك هنات * وصفها بالسرور لن يستطاعا

ومن جيد ما مدح به النديم قول بعض المتقدمين

أرى للكأس حقا لا أراه * لغير الكأس الا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه * رحى اللذات في الزمن القديم

فاما قول أبي نواس أمير هذا الشان وفارسه

خلوت بالراح أناجيها * آخذ منها وأعاطيها

نادمتها اذلم أجد مسعدا * أرضاه أن يشركني فيها

فهذا بعد اغا يدل على فضل النديم وانه لم يتفرد بالنبيذ مختارا وانما توحد به ضرورة لقوله انه لم يجد نديما مرتضى أوليس هو القائل

الراح طيبة واذن تمامها * الا بطيب خلائق الجلاس

ولم تقع أبيات في مدح نديم أحسن من قول أبي مسهر الطائي

وندمان يزيد الكأس طيبا * سقيت وقد تغورت النجوم

وللعطوي أشعار كثيرة في الندام كلها مختارة فمنها

يقولون قبل الدار جار موافق * وقبل الطريق النهج أنس رفيق

فقلت وندمان الفتى قبل كاسه * وما حث سير الكاس مثل صديق

وقال أيضا

الراح والندمان أحسن منظرا * من كل ملتف الحدائق رائق

فاذا اجتمعت صفاءها وصفاءه * فاقذف بكل ملامة من شاهق

ولقد ملح عصابة الجرجاني في قوله

اقرا السلام على الامير وقل له * ان المنادمة الرضاع الثاني

باب اخلاق النديم وصفاته

وليس أحد من أصحاب الملوك وخلطائهم هو أولى باستجماع محاسن الاخلاق وأفاضل الآداب وطرائف الملح وغرائب النتف من النديم حتى انه يحتاج أن يكون فيه أشياء متضادة فيكون فيه مع شرف الملوك تواضع العبيد ومع عفاف النساك مجون الفتاك ومع وقار الشيوخ مزاح الاحداث وكل واحدة من هذه الخلال هو

مضطرا اليها في حال لا يحسن أن يخل بها فيها او وقت لا يسعه العدول
عنها والى أن يجتمع له من قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذي
ينادمه على حسب ما يبلوه من أخلاقه ويعلم من معاني لحظه
واشارته ما يغنيه عن تكلف عبارته والافصاح به فيسبقه الى شهوته
ويبدره الى ارادته كما قال بعض الكتاب

ونديم حلو الحديث يجاريـ ـك بما تشتهيه في ميدانك
ألمعي كأن قلبك في اضـ ـلاعه أو كلامه بلسانك

ومن صفة النديم أن يجمع الى الصبر على مضض الجوع احتمال
كظة الازدياد على الشبع لانه مدفوع الى مؤاكلة أحد رجلين
اما مضني شديد الحمية لا يؤكل طعامه فيطالبه بالاكثار
ومساعدته عليه ومساواته فيه فاذا فعل ذلك حظي عنده وقرب من
قلبه بالشاكلة فان قصر أنزل ذلك منه على التخيل له وتعمد التنغيص
عليه فيكون حاله فيه كحال محمد بن عبد الملك الزيات فانه قال أعين
على أحمد بن أبي دواد بأشياء لم أعن عليه بمثلها حتى انه أعين علي في
تمكن حاله عند الواثق بأنه كان طيب الأكل طحون الضرس هضوم
المعدة وكنت على خلاف ذلك فحضرته يؤاكل الواثق وليس معهما
ثالث ودعاني الواثق الى الطعام فاقبلت أنقر على حسب عادتي
وخورد شهوتي وهما يتباريان في تكبير اللقم وجودة الاكل فلما
رأى أحمد ذلك مني قال يا أمير المؤمنين ما جلوس هذا المحتمي معنا
يحصي علينا اللقم اما أكل كما نأكل فوفانا حق المؤاكلة ولم يحشمنا
أو نهض فتفرد بمؤاكلة أمير المؤمنين من يحسن حضورها ويقابلها

بما يشبههما فقال الواثق قد صدق أحمد فكل أودع فان الملك أن نهضت أو اتهم طعامه عنده بمنزلة عمه وبصره فان أسرع فيه أو تناول أطايبه فكأنما يأكل من جوارحه فهو مضطر الى أن يجاهد نفسه ويغالب طباعه حتى يألف هاتين الحالتين ويجرى على هاتين العادتين فيكون حينئذ أتم فى آلات الندام وأقهر لسلطان الشهوة ممن يعقد على تقديم الا كل فى منزله ويتعالى بمثل ما رأينا جماعة من المترسمين بالندام يستعملونه من اتخاذ المخازن مملوءة أدهانا فى خفاف غلمانهم أو لفافات مدرجة فى المناديل اذا أمكنهم ذلك فاذا امضهم الجوع وشحذهم الشراب تغفلوا الغفلة وانتهزوا الفرصة فتناولوا ما أعدوا من ذلك فى الخلوات وربما كان فى المذاهب وما أشبهها من المواضع الخسيسة وكل ذلك قبيح جدا وفيه أشياء مذمومة منها انه لا يؤمن أن يطلع عليها بعض حاشية المنادم فينميها اليه فيوغر بقلبه ويحفظه ويرى أنه فى ذلك الفعل قد هجاه وبخله لانه ليس كل ذى خلق دنىء يعترف به من نفسه بل كثير من ذوى العيوب يعمى عن عيوبه أو يتعذر الموضع الذى يؤخذ مثل ذلك فيه فينال جسمه من الضرر بمفارقة العادة وفقد النفس شيأ قد تطلعت اليه وتشوقت له اما بعلة ومرض أو بعلة رئيسه ويقسم عليه أن لا يأكل الا معه فيفضى له ذلك ويعده به ويخاف فيكون قد خان ونكث * وكان عيسى بن جعفر الهاشمى يفعل هذا مع الرشيد كثيرا وكان الرشيد يغلبه عليه ويذمه ويبكته به فمن ذلك أنه قال له فى بعض العشيات وبجماعة من جلسائه

قد اشتهيت أن آكل في صبيحة غد هريسة وقد تقدمت باتخاذها
ولا يخلط بها غيرها فاعملوا على البكور واجروا أنفسكم الشهوة
ووفروها على الهريسة وكان بعضهم ملازما لعيسى خصيصا به
فحكى انه غلس الى منزله ولم يكن يحجب عنه قال فالفى عيسى جالسا بين
يديه بقية شمعة وطبق كبير عليه طيفوريتان عظيمتان احداهما
مملوءة هريسة وفي الاخرى ثلاث غضارات صينية فيهن مري
ودارصيني وفلفل ورقاق لطاف لا تنفصل عن الكف وهو يأخذ
الرقاقة فيملؤها ثم يمرها على تلك الغضارات ويزدردها قال فقلت
يا سبحان الله أنسيت ما اتفقت عليه مع أمير المؤمنين فقال لا تعجب
فهذه الطيفورية الثالثة فامسكت يده وجذبت الطبق وجبرته
على غسلها وركبنا فوافينا أمير المؤمنين جالسا على حصير الصلاة
حين انفتل من صلاته وهو يتمم تسبيحه وروائح الهريسة قد
ملأت الدار فقال لقد أبطأتما ودعا بالطعام فاحضر فاندفع عيسى
يأكل كأنه لم يذق شيأ منذ أيام فلم أتمالك أن ضحكت فقال الرشيد
ماهذا قلت لأصدقن أمير المؤمنين عن خبر عيسى قال ايه قلت كان
من أمره كيت وكيت قال أتراني شككت في انه يفعلها اعلم انه لو لم
يفعل لا كافي وأكالك • فاما العبث والمزاح فله من المنادم موقع
لطيف ومحل خصيص اذا تبين النديم منه نشاطا لذلك وقال قائل
للمامون أيأذن أمير المؤمنين في المداعبة قال وهل العيش الا فيها
(وقدم) العتابي عليه وعنده اسحق بن ابراهيم الموصلي فسلم ورد
عليه وجلس وأقبل يسأله عن حاله ويجيبه بلسان طلق فاستظرفه

وأخذ ذممه في مداعبته فظن الشيخ أنه قد استخف به فقال يا أمير المؤمنين الايناس قبل الابساس ثم أخذوا في المناوضة والحديث * وأغرى المامون اسحق بالعبث بالعتابى فاقبل يعارضه في كل مايذكره ويزيد عليه فعجب منه ثم قال اياذن أمير المؤمنين في مسئلة هذا الانسان عن اسمه ونسبه قال افعل فقال العتابى من أنت وما اسمك قال أنا من الناس واسمى كل بصل فقال العتابى أما النسبة فمعروفة وأما الاسم فمنكر وما كل بصل من الاسماء قال اسحق ما أقل انصافك وما كلثوم من الاسماء البصل أطيب من الثوم فقال العتابى لله درك ما أرجحك ما رأيت يا أمير المؤمنين كالرجل قط أفيأذن لى في صلته بما يصله به أمير المؤمنين فقد والله غلبنى فقال المامون بل هو موفر عليك وتامر له بمثله وثم ضافا انصرف اسحق بالعتابى الى منزله ونادمه بقية يومه * ومما يزيده في المحل تقدما وعند ملكه ورئيسه تعظيما وتمكنا أن يكون عالما بكل ما يتنافس فيه الملوك ويغالون فيه من الرقيق الثمين والجوهر النفيس والآلات المحكمة وأنواع الطيب والفرش الى غير ذلك من الخيل والسلاح وسائر ما يهدى منه الى الملوك في مجالس لذاتهم وتعرض عليهم أوقات نشاطهم فان أبرد من النديم مجلسا وأكسف منه بالا اذا عرض على الملك شئ من هذه الاعلاق فاعتمد فيها على معرفته واستعان على تخيرها ببصره ورجع في استفادتها الى نظره وثقته فلم يحر جوابا في ذلك ولم يحط بشئ منه علما * ويستظرف منه أن يصف اللون الغريب من الطبخ والصوت البديع والشعر الشجى واللحن من

الغناء ورأيت الملاح من أهل هذه الطبقة يقولون ان من لا يشد عشرة أصوات ويحكم من غرائب الطبيخ عشرة ألوان لم يكن عندهم ظريفا كاملا ولا نديما تاما ولفتى من الكتاب فى هذا المعنى

تعالوا الى المنزل الذى لم يزل بكم * يطاول على ريب الزمان ويشمخ
فقد حصلت عندى لكم فتعجلوا * ثلاث دجاجات سمان وأفرخ
وراح وريحان ومسك وعنبر * نبخر أحيانا به ونضمخ
ومسمعة كالبدر تشدو بصارخ * تهادى القلوب نحوه حين يصرخ
وها أنا ذا طباخكم ولربما * رأيت ظريف القوم يشدو ويطبخ
سوى انه لا يقطع اللحم كفه * ولا هوان لم توقد النار ينفخ
وانى لاستخذى لاهل مودتى * وأزهى على أهل المعالى وأبذخ

ولا يستحق النديم هذا الاسم حتى يكون له جمال ومروءة أما جماله فنظافة ثوبه وطيب رائحته وفصاحة لسانه وأما مروءته فكثرة حيائه فى انبساط الى جميل ووقار مجالسه مع طلاقة وجهه فى غير سخف ولا يستكمل المروءة حتى يسلو عن اللذة وقيل للعتابى ما المروءة قال ترك اللذة قيل له فما اللذة قال ترك المروءة

باب التداعى للمنادمة

قد آثر بعض الظرفاء من اسقاط التصنع فى هذا الباب ما هو أليق بالمؤانسة وأنفى للانقباض والحشمة ولو لم يكن فى الاحتفال من النقيصة والاقتضاب من الفضيلة الا أن المحتفل قد ضيق العذر على

نفسه فى تقصير ان كان منه والمقتضب مفتقر له ذلك الكنى به
(وروى) ان رجلا دعا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام
فقال آتيك على أن لا تدخر عنا ما عندك ولا تتكلف لنا ما ليس
فى وسعك (وقال) المأمون لجعفر بن سليمان الطيب والطعام
لا يزيد فى جودتهما كثرة الانفاق عليهما ولكن اصابة المعنى وكتب
الى صديق لى

قم بنا نقتضب صبوحا مليحا * يسعد الله لى بك اليوم جدى
لم أبت له اعتزاما ولا قلت غدا كن فدتك نفسى عندى
فهو طيب بارد موقعا كحبيب * جاءنى زائرا على غير وعد

(وحدثنى) بعض شيوخنا عمن حدثه أن ظريفا من الكتاب احسبه
الحسن بن سهل بلغه أن عبد الله بن يزيد عشيق أبى تمام الطائى
الذى يقول فيه

يا سمى النبى فى سورة الجن ويا ثانى الولاة بمصر

احتفل لدعوة دعاها احتفالا شديدا وتعمل لها حتى اشتهر أمرها
قبل وقوعها فكتب اليه أما ارتفعت عن تنبيت الدعوات بعد
(ودعا) محمد بن عبد الله بن طاهر رجلا من أصحابه دعوة تقدم فيها
فاحتفل لها فلما حضر محمد طالبه بالطعام فطاله ليتكامل ويتلاحق
على ما أحبه من الكثرة والحفلة حتى تصرم أكثر النهار ومس محمدا
الجوع فتنغص عليه يومه وأراد محمد سفرا فشيعه هذا الرجل حتى
اذا دنا منه ليودعه قال له أيأمر الامير بشئ قال نعم تجعل طريقك فى
عودتك على محمد بن الحرث بن بخير فتسأله أن يعلمك الفتوة فمضى حتى

دخل الى مجمدينة فقال له بعض الملك الامير لتعالى الفتوة فضحك وقال ياغلام هات ماحضر فاتى بطبق كبير عليه ثلاثة أرغفة من انظف الخبز وأنقاه وسكرجات مري وخل وملح من اجود مايتخذ من هذه الاصناف وابتدأنا كل فجاءته فضيلة باردة من مطبخه وتداركها الطباخ بطباهجة ووافاه من منزل حرمه فضيلة اخرى واهدى له بعض غلمانه جام حلواء فانتظم له خفيف ظريف فى زمان يسير وبغير احتشام وانتظار (وسمعت) بعض الاغنياء يعتذر من ترك التحفل بعذر ماحسن الاعتذار قط الا من مثله وذلك أنه قال مايمنعنى من الاحتفال الا الاستظهار فقلت له وكيف ذلك قال أكره ان أحتفل فيتأخر عنى من ادعوه اما عن عمد او عائق فاكون قد تكلفت مالم ينتفع به فقال فى ذلك بعض اخوانه

اذا كنت لاتدع الاحتفال الالا لئن تستظهر
فلا تدعون احدا بتة * فهذا هو النظر الاوفر
ولاسيما انا من بينهم * فانى وحقك لا أحضر

(وكان) آخر لايشرع فى شئ من آلة الدعوة حتى يحضر اخوانه ويأمن تأخرهم فحينئذ يأمر باصلاح مايحتاج اليه على مقدار قد عرفه فلا يلحق طعامه حتى يتصرم يومهم وتضطرم نار الجوع فى احشائهم فقال فيه بعضهم

خاف الضياع على شئ يعجله * من الطعام اذ اخوانه ثقلوا
فليس تعلوا على الكانون برمته * حتى يرى أنهم فى البيت قد حصلوا

(وخبرنى) بعض من أثق بصدقه عن بعض البخلاء انه دعا قوما فابتاع

لهم جديا وأشفق من ان يذبحه فلا يحضر وافتخر الجدى فنوره وعمل على أنهم ان حضروا ذبحه واحضره كهيئة المسموط وان تاخروا استحياه ولم يذبحه وليس هؤلاء باذراطهم فى هذا الاستظهار القبيح والنظر الرقيق باذم ممن يدعى فيجيب ويحصل ذلك على نفسه ويوثق منه بالوفاء به ثم يتثاقل عن الداعى الملهوف حتى يجيعه ويجيع اخوانه ويشلم عليه عمره ويبرد عليه طعامه ويردد غلمانه ويطيل التشوق اليه فجزاء هذا عندى بعد الاستظهار عليه بالحجة واعادة الغلام اليه بالرسالة أن يستاثر اخوانه بالموا كلة دونه متعمدين بذلك الاستخفاف به ليؤدبوه ان كانت به مسكة وينبهوه ان كانت له فطنة وقد جاء فى الخبر المأثور فى اجابة الدعوة وترك التاخر عنها ما يجرى مجرى الفرض الواجب وهو قول النبى عليه السلام من دعى الى طعام فليجب فان كان مفطرا فليا كل وان كان صائما فليصل والصلاة ههنا الدعاء مثل قوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا أى لا تدع لهم ولا تترحم عليهم فاذا كان الصائم قد أمر بالحضور فكيف بالمفطر ومن قد أجاب وتوانى ذلك من فى ثياه فكتبت اليه

تأخرت حتى كددت الرسول * وحتى سئمت من الانتظار
وأوحشت اخوانك المسعدين * وجئتهم بشباب النهار
واضرمت للجوع احشاءهم * بنار تزيد على كل نار
فان كنت تأمل أن لا تسب * فانت وحقك عين الحمار

وكان يقال ثلاثة تضنى سراج لا يضى وزسول بطئ ومائدة ينتظر

بها من يحيى * وقال آخر المودة تعجيزه غرتهم الزيارة وقال آخر المودة روح والزيارة شخصها * وكتبت الى صديق لى دعوته فتثاقل عنى واعتل بعارض عله

يابى أنت تباغضت وما كنت بغيضا
جاءنى منك جواب * كان للعهد نقيضا
أنت لم تمرض ولكن * أحسب الود مريضا
ولقد فاتك لهو * لست منه مستعيضا
ومداما كانت فى الكاس ياقوتا نضيضا
وحديث ونشيد * شاب نحوا وعروضا
وغريض من غناه * فاق فى الحسن الغريضا

وكتبت الى آخر

كتبت وعندنا روح وراح * واخوان تحبهم ملاح
وبيضاء السوالف ذات عود * يناغيها غانية فصاح
واحور من ظباء الروم ساق * كغصن البان تثنيه الرياح
بديع ملاحة يدعى نجاحا * ولكن ما لموعده نجاح
له طرر تصف على جبين * كمثل الليل قابله الصباح
تحلى بالمناطق وهو ممن * يليق به القلائد والوشاح
وساطعة الشعاع رضاب نحل * حلال الشرب ليس بها اجتناح
وللوسمى بالقطر ابتدار * وللشرب ابتهاج وارتياح
شرابهم سرور وادكار * وشدوهم اختيار واقتراح
وبين الضرب والاوتار حرب * وبين الناى والراح اصطلاح

فزرناغير محتشم تزرنا ＊ بزورتك المكارم والسماح

(ومر) بعض النبيذيين بجدي سمين فقال ليت شعري اغاب ان من هذا فسئل عن معنى قوله فقال يؤخر اصحابنا الجدي فلا نصل اليه وفينا فضل له و يفوز الغائبان به (وخبرت) أن بعض المتقدمين كان يذكر مايصنع لاخوانه من الطعام في رقعة و يعرض عليهم فمن استطاب لونا حبس نفسه عليه ＊ و روى ان زيادا كان يقول ماانفردت برغيف قط حتى يشركني فيه غيري ولاا كلت طعاما قط الا شهوة من يكون معي وانا ارى ان يفتتي الزور وفاجأني الصديق أن اشافهه بوصف شيء ان كنت تقدمت باصلاحه وان قل واشهيه ولا أحتشم ان اقترح متعذرا ان أونسه وأقترح في منزل صديق ولااسومه ماعلم ان حاله لايحتمله فان استدعيت من الطباخ شيا عرفته بالالف واللام ولم اجعله نكرة كما يحكى عن بعض المتكبرين من المموهين ودعا قوما فقال لغلامه في آخر طعامه هات حلوا ان كان عندك فقال له الغلام وكان عليه مدلا ماعندي الا الفالوذج الذي عقدته بيدك ＊ ودعا رجل رجلا فقال له هل لك ان تصير معي الى المنزل فنأكل خبزا وملحا ففطن الرجل ذلك القول منه على المجاز فمضى معه فلم يزده على الخبز والملح شيئا فبيناهما يأكلان اذ وقف سائل بالباب فرده صاحب المنزل مرارا فلم يبرح وألح فقال له ان انصرفت والاخرجت اليك فهممت قال فقال له المدعو ياهذا انصرف فانك لو عرفت من صدق وعيده مثل ما قد عرفت من صدق وعده ماتعرضت له

باب الشرب وكثرتهم وقلتهم

فاما كثرة عدد الشرب وقلتهم فهم يسمون الاثنين منشارا ويكرهونهما وكان الثلاثة أتم مجلسا لان الاثنين ينهض أحدهما لبعض شأنه فيبقى الآخر وينفرد وربما عرض له الفكر فلا يكون لحبه من تخلفه فى مؤانسة وليس كذلك أمر الثلاثة وعندى الاربعة أحسن لان الثلاثة اذا اشتغل الاثنان بالحديث لا يعرف الثالث سببه وابتداءه يحتشم لا محالة ويمقت نفسه والاربعة يتكافؤن فهم أركان المجلس وفى الاربعة يقول بعض الكتاب

ثلاثة أصفيتهم هواى * كأنهم كواكب الجوزاء
عطارديون يرون رأيى * كأنما هواؤهم هوائى

وانما ذكر ثلاثة هو رابعهم وقال آخر

ثلاثة جمعوا الى فى ثلاث بنى * وكنت رابعهم يوم الثلاثاء

وقال آخر فى الثلاثة

الثالث تدعونا اذا ما دعوتنا * دعائم ودسبتين على نهر
فلا خير فى الندمان الا ثلاثة * سواء كأمثال الاثافى من القدر

وقال آخر فى وصف الندامى من واحد الى سبعة

ان المعاقر كأسه متفردا * من صحبه نحس لئيم أرجس
واثنان تشتد الندام عليهما * وثلاثة بهم يطيب المجلس
والقد يلذ حديث أربعة لهم * فيطيب مجلسهم معا والانفس
والغاية القصوى أراها خمسة * فى دورهم نفس لمن يتنفس

واذا هم كثروا انصاروا ستة ٭ عطشوا لحبس الكاس ساعة يحبس
واذا تجمع سبعة فى مجلس ٭ سنحت لهم دون السعود الانحس
وظللت فى سوق المراء معسكرا ٭ وترى حلومهم بجهل تخلس
و يتجوز المعاشرون فى الطعام ولا يتساهلون كدر الشراب وغلظه
ويسير الرائق الجيد من الشراب يدفى على مقصر الطعام والكثير
من غليظ الشراب يفسد كل ما يولغ فيه من شريف الطعام و زمان
المشاربة أطول من زمان المؤاكلة وقال الحسن بن هانئ فى مدح
رائق الشراب وذم غليظه

من شراب كأنه نظر المعشوق فى وجه عاشق بابتسام
لا غليظ تنبو الطبيعة عنه ٭ نبوة السمع عن شنيع الكلام

وقال الوليد بن عبيد البحترى

تركت مشمس قطربل ٭ وجرعتنا دقل الدسكره
اذا صب مسودة فى الاناء ٭ فكاس النديم به محبره

وقال على بن العباس الرومى

علنى أحمد من الدوشاب ٭ شربة نفست سواد الشباب
لو ترانى وفى يدى قدح الدو ٭ شاب أبصرت بازيا رغراب

ولى فى هذا المعنى

لابى الفضل شراب ٭ جيد ليس يعاب
هو فى حال طعام ٭ وهو فى أخرى شراب

باب السماع

فاما السماع الطيب فلو اقتصر به عليك داعيك من دون كل

مأكول ومشروب لقضى حقك واحسن معونتك وتعويضك ويشهد بتحقيق ذلك خبر الداعى فى البيتين اللذين سمعه سامع يتغنى بهما وهما

وكنت اذا ما زرت ليلى بارضها
أرى الارض تطوى لى ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها
اذا ما قضت احدوثة لو تعيدها

فاطرب به وأعجبه حتى مال اليه فاستعاده فاعادهما وقال والله لو كان عندى قرى ما أعدتهما وقال آخر

لابى جعفر سماع عجيب * جمع اللهو فيه والاطرابا
فالندامى به غنيون عن ان * يبتغى مطعما لهم وشرابا

وذلك أن الغناء شئ يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالح الجسم كما أن لذة المأكول والمشروب تخص الجسم دون النفس (وقالت) الحكماء الغناء فضلة فى المنطق أشكلت على النفس فاخرجتها ألحانا فاقول انها الى الالحان أميل اذ كانت هذه سبيلها أشد اصغاء منها الى ان قد تميزلها وصح معناه عندها من سائر منطقها حرصا على معرفة غامضها وشوقا الى استفتاح منغلقها وهى الى تعرف مالم تعرف اتوق منها الى ما قد عرفت وكذلك المثل العجيب والبيت النادر كما دق معناه ولطف حتى يحتاج الى اخراجه بغوص الفكر عليه واجالة الذهن فيه كانت النفس عما يظهر لها منه أكثر التذاذا وأشد استمتاعا عما تفهمه فى أول وهلة ولا يحتاج فيه الى نظر وفطنة وليس الاشيرفها وبعد غايتها (وأقول) أيضا كما أن الالحان

أشرف المنظوم فكذلك النفس الطروب اليها المستخف لها
أشرف الانفس وكل ذى ذهن لطيف ونفس فاضلة أحرص على
السماع وأحن اليه بالمشاكلة (وكتبت) الى بعض من كان يزهد فى
السماع

ان كنت تنكر أن فى الالحا ن فائدة ونفعا
فانظر الى الابل التى * هى ويك اغلظ منك طبعا
تصغى لاصوات الحدا * ة فتقطع الفلوات قطعا
ومن العجائب أنهم * يظمونها خمسا وربعا
فاذا توردت الحيا * ض وشارفت فى الماء كرعا
وتشوقت للصوت من * حاد تصيخ اليه سمعا
ذهلت عن الماء الذى * تلتذه بردا ونفعا
شوقا الى النغم التى * أطربنها الحانا وسمعا

وحق من أمتعك بسماعه واشركك فى اخص لذاته وسوى بينك وبينه فى استماع نغمه من لعله يغار عليه من ظله ان تجعل ثوابه على هذه التكرمة غض طرفك عن الجهة التى تلى الستارة والناحية التى تاتى منها النغمة حتى لا يكون باطن الستارة باخفى عنك من ظاهرها ولا تحتاج ان يخرج بك الطرب عن حد الحرية والادب فتلج بالاقتراح وتتحقق بالعلم بالغناء والحذق بالاعراب فتتبع العثرة وتترصد الهفوة فان سمعت مجازا لحنته وان مر بك زحاف عيرته ووزنته وقد قيل النحو بين الملا تقريع ومن قل علمه كثر رده والعربية أكثر من أن يخطئ فيها متكلم وأنفس القينات آبية

ومعهن أنفة وحمية فمن استعمل معهن هذا فهو ابدا عليهن ثقيل وعندهن مقيت لا يعدم أن تراقبه الواحدة وتكايده فتمال ان حضرته فدل عما استحسن فتقطع الصوت عند اتصاله وتتربص بجيد الغناء لا انصرافه ولبعض أصحابنا فى غض الطرف عن الستارة

انى على ماقد من * عهد الشبيبة والنضاره
لأغض من طرفى وبا * منى النديم على الستاره
وأعف خلق الله عن * جار أصافيه وجاره

(وكتبت) الى بعض أصدقائنا وكان له سماع مطرب وغيرة مفرطة

ان شئت فاستر على سماعك أو * ان شئت يوما فعطل السترا
فان عندى من العفافة ما * تحمده منظرا ومختبرا
أمكن أذنى من السماع ولا * أمكن ألحاظ عينى النظرا

باب المحادثة

فاما سبب النديم الذى هو رأس ماله وأنفس أعلاقه فهو المحادثة وهى أخف اللذات مؤنة وأقلها اتعابا للحاسة وقد قيل لشيخ فان مابقى من لذاتك قال استماع الملح (وقال) المهلب العيش كله فى الجليس الممتع وجوّد على بن العباس الرومى

وسئمت كل مآربى * فكأن أطيبها خبيث
الا الحديث فانه * مثل اسمه أبدا حديث

وسألت فنن وهى جارية أريبة كانت من آدب الجوارى فى زمانها

مسلما

مسلما المعروف بالمتيم في مذاكرة جرت بينهما طويلة فقالت أي الامور عندك ألذ واشهى محادثة الرجال أم استماع الغناء أم الخلوة بالنساء فقال سألت عن أمور لا تحسن محادثة الرجال الا بحسن التفهم ولا الغناء الا بشرب النبيذ ولا الخلوة مع النساء الا بالموافقة وسعة القدرة قالت فأي الثلاثة تختار قال محادثة الرجال ومثل قوله لا تحسن محادثة الرجال الا بحسن التفهم قول الآخر تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وحسن الاستماع امهال المحدث حتى ينقضي حديثه وقلة التقلب الى الجواب والاقبال عليه بالوجه والنظر والوعي لما يقول وان تصغي الى حديثه ولا تشغل طرفك عنه بنظر ولا أطرافك بعمل ولا قلبك بفكر ولا تسابقه الى حديث يبدأ به لمعرفتك بذلك الحديث بل تريه من الارتياح له والتعجب منه ما توهمه أنه لم يخطر ببالك ولا وقر في سمعك وأمتع الناس حديثا أحسنهم افهاما ومن أدب الحديث أن لا يقتضب اقتضابا ولا يهجم عليه وان يتوصل الى اجترار عبابه اكله ويسبب له ما يحسن أن يجري معه في غرضه حتى يكون بعض المناوضة متعلقا ببعض على حسب قولهم في المثل الحديث ذو شجون يعني بذلك تشعبه وتفرعه عن أصل واحد الى معان كثيرة وأن لا تبتدئ حديثا ثم تقطعه وتعد باتمامه كانك رويت فيه بعد ابتدائه ولتكن التروية له قبل التفوه به فان احتجاز الحديث بعد ابتدائه سخف ولا يتسع للنديم من العذر في اكثار الصمت ما يتسع للكاتب لان ذلك ينزل من الكاتب على الفكر في

تدبير الاعمال وتنظيم الامور والانتظار لان يسئل فيجيب أو يستشار فيصيب وهو من التنديم وانقطاع وقلة امتاع كما قال بعض أصحابنا

وصاحب أصبح من برده * كالماء فى كانون أوفى شباط
ندمانه من ضيق اخلاقه * كانه فى مثل سم الخياط
نادمته يوما فالفيته * متصل الصمت قليل النشاط
حتى اقد أوهمنى أنه * بعض التماثيل التى فى البساط

وقال بعض العلماء اذا لم تكن المحدث أو المحدث فقم ومع ماقلناه من اكثار النديم الحديث فاحلى حديثه وأحسن لوقعه أن يتنكب منه الطوال ذوات المعانى القلقة والالفاظ الوحشية التى يفنى باقتصاصها زمان المجالس وتتعلق بها النفوس وتحبس على أواخرها الكؤس فان ذلك بمجالس القصاص أشبه منه بمجالس الخواص ولم يزالوا يمدحون الاحاديث بالقصر كقول امرئ القيس

وحديث الركب يوم هنا * وحديث ما على قصره

وقال آخر

اذا هن حدثن الحديث قضينه * ومنيننا أن الحديث يعاد

وقال عبد الله بن المعتز

بين أقداحهم حديث قصير * هو سحر وما سواه كلام

وقال آخر

كم من حديث قصير لى أصيد به * قلب الفتاة وأشعار أسديها

وقال آخر لاتجعلوا مجلسكم حديثا كله ولا انشادا كله ولكن

امن جوه واجعلوا له من كل شئ نصيبا * ومن أدب الحديث أن لا يكثر المحدث التبسم والقهقهة * وقال نجاح بن سلمة للمتوكل لما دعاه الى منادمته في خصال لا تصلح معها منادمة الخلفاء قال وما هي قال سلس البول وأتبسم اذا حدثت ولا أقدر من الشرب على اكثر من رطلين فقال له من حق صدقك عنها ان نسامحك بها فضمنا ماه * وقد اختلف رأيهم في موقع الحديث على الطعام فاستحسنه قوم وكرهه آخرون وهو من صاحب المنزل والمائدة أحسن منه من الاكيل والزائر كما قال بعضهم

صادف زادا وحديثا ما اشتهى * ان الحديث طرف من القرى

(ويستجاد قول بعض المحدثين)

كيف احتيالي لبسط الضيف من خجل
عند الطعام فقد ضاقت به حيلي
أخاف ترداد قولي له فاحشمه
والصمت ينزله مني على البخل

(واكل) عندي بعض المجان من النبيذيين فسمعني وأنا أحمد الله عز وجل في وسط الطعام لشئ خطر ببالي من نعمه التي لا تحصى فنهض وقال أعطي الله عهدا ان عاودت وما معنى التحميد في هذا الموضع كأنك أردت ان تعلمنا انا قد شبعنا ثم مال الى الدواة والقرطاس وكتب ارتجالا

وحمد الله يحسن كل وقت * ولكن ليس في أولى الطعام
لانك تحشم الاضياف فيه * وتأمرهم باسراع القيام

ونؤذنهم وماشبه وابشبع * وذلك ليس من خلق الكرام
ولست أرى بالحديث من الزائر والمزور بأسا الا أن أحسن حديث النديم على الطعام وأليقه بالحال التي هو فيها أن يكون في معنى الطب وذكر الاغذية ومحمودها ومكروهها فان أحس من صاحبه بخلاصلح أيضا أن يذكر له طرفا مما جاء في تخفيف الطعام والتملؤ منه والاخذ بقدار الحاجة اليه ومايقيم الجسم دون مايتعرض به للتخمة وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اجعلوا البطن أثلاثا ثلثا طعاما وثلثا شرابا وثلثا نفسا ثم مثل قول متمم بن نويرة
لقد كفن المنهال تحت ردائه * فتى غير مبطان العشيات أروعا
يريد أنه كان يؤثر الاضياف بالزاد على نفسه وهو لا يستوفي منه شبعه وقال المبرد لانه كان يؤخر العشاء الى الليل انتظارا للطارق وقول حاتم

واني لاستحيي رفيقي أن يرى
مكان يدي من موضع الزاد بلقعا
وكنت اذا أعطيت بطنك سؤله
وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا

وقول الآخر البطنة تذهب الفطنة وقول الآخر عاهة الشبع أشد من عاهة الجوع وقول بقراط الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع ثم ان استشاره في نقل أو عشاء لم يشر عليه الا بما لطف من النقل وحاديه عن الطعام وخوفه عاقبته وان كان مضيافا كولا ذاكره بما يعجبه ويشاكل مذهبه في اجادة قوة الشهوة

للا كل والا كثار منه وما فيه من اللذة كقولهم الاطيبان الا كل والنكاح وكقول الآخر

حسن اكل الفتى يدل على ابتسامه ضيفه وبسط اكله
وتراه يقل منه فيدعو * ذاك أضيافه الى تبخيله

(وحكى) أن الحجاج أصبح جائعا فقال لجلسائه ما خير الغداء فقال ابن القرية بوا كره أيها الامير قال ولم ذلك وهل هو كذلك فى كل أوان قال نعم ان كان الزمان شتاء فلطول الليل وهضم المعدة للطعام وان كان قيظا لبرد الماء وقلة الذباب

باب غسل اليد

قد اصطلح الناس على اجلال رؤسائهم وملوكهم عن غسل أيديهم بحضرتهم واستجاز واذلك مع نظرائهم ومن يسقط الحفظ بينه وبينهم ولو آثر الناس الاعتزال لغسل الايدى من الغمر مع كل طبقة حتى لا يرى بعضهم بعضا لكان ذلك عندى أليق بالظريف وأشد امكانا لما يحتاج اليه من استقصاء الغسل والمبالغة فى التنظيف واجالة الانامل فى اللهوات والخلال فى الاسنان وتفله وما أشبه ذلك مما لا يشك أحد ان ستره عن عين المحب والمبغض والرفيع والمتواضع أحمد من اطلاعه عليه ومحال ان يكون الرؤساء والملوك ذهبوا غير هذا المذهب وأن يظن بهم فيه الكبر ويوهم عليهم العجب وأن المرء يتأذى أن يرى ذلك من نفسه فكيف من غيره وربما يحسن الرئيس و يجمل فيقول لنديمه اغسل يدك مكانك

ولا تنزعج فالغبي يتغنم ذلك والفطن يأباه ويغلب الادب فيخف على
الادب ويستفيد الحظوة ويأمن الاول التثقيل فيثقل ولو كان
الحكم في هذا يوجب من الترتيب فيه والاجتماع عليه مثل ما توجبه
المؤاكلة لحسن أن تجتمع الايدي في الطست الواحدة كما تجتمع
في مائدة واحدة هذا بعد الطعام فاما قبله فجائز أن تغسل اليد بين
يدي الرئيس والنظير في طست واحدة وغسل رجل مع المأمون يده
وابطأ الطعام فسبقته يده الى رأسه فقال له المأمون أعد غسل يدك
وقال لا يلي غسل اليد الا الخبز وقال رئيس سنن العرب المضمضة
والسواك والاستنجاء ورئيس سنن العجم الخلال وغسل اليد قبل
الطعام وسبيل رب المنزل ان يبتدئ بغسل اليد فيكون أولا قبل
الطعام وآخرا بعده ينفي في الاول حشمهم وفي الحالة الثانية يتوخى
تعجيل اماطة اذى الغمر عن أيديهم هذا مع الاكفاء والمعاشرين
فاما العظماء من ذوي السلطان فالاولى بمنادمتهم المبالغة في
التخفيف عن أعينهم وقلوبهم والتناهي في اعظامهم وتبجيلهم
فاما الخلال والانفراد به والتخلي له فمأمون وأحسن على كل حال

باب ادارة الكاس

فاما حكم الكاس في ادارتها فان الادب فيه موافق لسنة الاسلام
ومذهب الجاهلية لم يغيره ولم يبدل به لانه روي عنه صلى الله عليه
وسلم انه أتي بسقاء من لبن فشرب بعضه وكان عن يمينه غلام حدث
السن وعن يساره رجل من مشيخة أصحابه فدفعه عليه السلام الى

الغلام وقال الابن قالا بن وعمايدل على مذهب الجاهلية في مثل هذا قول عمرو بن عدى وجماعة من العلماء ينسبون ذلك الى عمرو ابن كلثوم

تصد الكاس عنا أم عمرو * وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

باب الاكثار والاقلال

ومما يغلط فيه أكثر المنادمين وجمهور المعاقرين افتتاح الشرب بالقدح الصغير والترقى منه الى الكبير وهم بالابتداء بالكبير فى حال جمامهم وحاجتهم الى هضم طعامهم وأبين مجالسهم أولى حتى اذا ترضوا وانتشوا كانوا بالنزول الى الصغير أولى وبالابقاء على عقولهم أحرى وربما لم يكن غناؤهم متعاقبا فى تعجيلهم الطرب بالكبير على تقصيره ويغطى ارتياحهم على عيوبه ولوصادفهم على غير تلك الحال الدتهم الفتور وقل نشاطهم بالكبير فاما الاكثار والاقلال فليس النديم فيهما مختارا ولاعلمنا أحدا تبين منه كبير فضل على النبيذ والاغلب على أكثرهم اجبار النديم على الشرب والحيف عليه واستثقاله اذا أبى وامتنع أو تمنع ولا عيب على النديم فى السكر اذا كان مجبورا عليه كما وصفنا وتغفر له فرطاته وعثراته كما قال العطوى

فمن حكمت كاسك فيه فاحكم * له باقالة عند العثار

وكما قال على بن الجهم

والقوم اخوان صدق بينهم نسب * من المودة لم يعدل به نسب
تنازعوا درة الصهباء بينهم * وأوجبوا الرضيع الكاس ما يجب
لا يحفظون على السكران زلته * ولا يريبك من أخلاقهم ريب

والاصل في هذا ما يحكى عن المأمون من قوله النبيذ بساط فاذا رفع فاطووه الا أن يكون النديم هو المستدعى للشرب والمواصل للشرب من غير ثقة منه باحتمال ذلك فيلزمه التبعة وتعصب به الجريرة فاما الرئيس ذو الملك والامر النافذ فلو كان السكر أو مقاربته حلالا لا اختلاف فيه لكان عليه حراما لا اختلاف فيه لان بادرته الى نفسه وغيره لا تستقال وأمره لا يراجع لانه يقهر ولا يقهر ويجير ولا يجار عليه وقلما عدمنا بحادثة فظيعة وغدرة قبيحة وسطوة عظيمة اجتازها الملك وجناها على نفسه أو نديمه أو حميمه أو سائر من يخصه الا على سكر ثم يقع عليه بعد ذلك الندامة ويلحقه ما لا يتلافاه من العار والمسبة فمن تهيأ عليه ذلك من ملوك الجاهلية جذيمة بن مالك الابرش صاحب الحيرة وغيره مشهور ومن ملوك الاسلام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فانه لم يزل يهمل الامور ويواصل السكر مصطبحا ومغتبقا حتى انتشر أمره واضطرب حبله فقتل وجماعة كثيرة كان السبب في هلاكهم وهلاك من يخصهم اختيارهم السكر ومطالبتهم به ندمائهم ولو ذهبنا الى تعدادهم وشرح قصصهم لخرجنا بالكتاب عن حده

باب طلب الحاجة والاستماحة على النبيذ

ويقبح بالنديم ان يستمنح الرئيس على سكره فانه يرى ان ذلك يجرى مجرى الخديعة ويدخل فى باب الحيلة وذكروا ان بعض الاجواد لم يكن يعطى أحدا على الشراب شيئا حتى يصحو اشفاقا من أن يقال ان السكر حداه على السماحة وكان ذلك فيه عارضا فان عدل عن المسئلة فى أمر نفسه واستماح لغيره كان ذلك داخلا فى باب حسن المحضر والحض على الكرم وخرج عن باب التهم واللؤم فانه يقال ان كثرة الاخذ لؤم كما ان كثرة الاعطاء كرم * وكان العتابى واقفا بباب المأمون فجاء يحيى بن أكثم فقال له العتابى ان رأيت أن تعلم أمير المؤمنين مكانى فقال لست بحاجب فقال قد علمت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان فقال له سلكت بى غير طريقى فقال له ان الله عز وجل قد أتحفك بجاه ونعمة وهما مقيمان عليك بالزيادة ان شكرت وبالتغيير ان كفرت وأنا لك اليوم خير لك منك لنفسك أدعوك الى ما فيه زيادة نعمتك وأنت تأبى ذلك على ولكل شئ زكاة وزكاة الجاه بذله للمستعين فدخل الى المأمون فاخبره الخبر فامر للعتابى بثلاثين ألف درهم فاما اذا لم تشب المجالسة والمحادثة المنبذ والمراضعة ودفعت ضرورة الى المسئلة فالاحسن فى ذلك أن لا يبتدئ بالسؤال محضا وان يتوخى له من الاحاديث والمعاريض ما يندرج السؤال فى تضاعيفه على ألطف ما يمكن فى ذلك وأقربه من النادرة والفكاهة كما فعل المفضل الضبى وبايت المهدى فلم يزل يحادثه ويناشده حتى جرى ذكر حماد الراوية فقال له المهدى ما فعل عياله ومن أين يعيشون قال من ليلة مثل هذه كانت له مع الوليد بن يزيد

باب هيئة النديم وما يلزمه لرئيسه

وحكمه ان يحضر بزى الموكب ولبسة الخدمة والزى الظاهر الذى
يعرف به ويشهد فيه المجالس الحافلة من غير أن يتفضل بشئ من
ثيابه ولا يتشمر فان شاء الرئيس أن يغير زيه ويكرمه بشئ من ثيابه
تخلع عليه الملون والمشهور من أثواب الندام حسن أن يلبس ذلك
فى وقته حتى ينقضى المجلس ولم يحسن أن يحضر فيه ظاهرا فى مجلس
آخر لانه شئ كان الرئيس اختاره فى ساعة طربه وتبذله لا فى كل
أوقاته فاما العمامة والخف فسبيله أن لا يخل بهما وله أن يلطفهما
ويخففهما وانما الغرض فى ملازمتهما أن لا يحسر الرأس وتبدو
القدم ويذهبون بذلك الى اجلال السلطان العظيم عن مشاركته
فيما اتسع له من التبذل والتضجر فى الزى الذى لا مشقة ولا ثقل فيه
والانفراد منه بما يتصل به عمن هو دونه وهذا مما يسلك فيه سبيل
ملوك الاعاجم وكانوا رسموا لكل طبقة من طبقات أهل ممالكهم
برسم من الزى ليتميزوا ولا يشتبه سوقة بملك ولا دنى بشريف ولا تابع
برئيس ولكل أهل عصر زى الا أن الاكثر والاشبه بأهل عصرنا
وما قرب منه ما ذكرنا والحجة فى استحسانه وايثاره ما بيناه ومما يأخذ به
نفسه الاسراع فى الخطو اذا كان حيث يراه الرئيس حتى تكون
مشيته ارقالا ولا تكون اختيالا ولهذا وما أشبهه من التحفظ صار
ندام النظير أنعم وأترف وان كان ندام العظماء أجل وأشرف وخبرت
عن الطبقة العالية من ندماء الخلفاء الماضين انهم كانوا يجمعون

في منزل أحدهم فاذا مشى بعضهم في ذلك الموضع مشى مسرعا وسئل أحدهم عن السبب في ذلك فذكر انه انما يفعله في كل موضع وان كان لا يلزمه الا في مجلس الخليفة حذرا من أن يخل بالعادة فيعدل بها في موضعها فاستحسنت تلك الرياضة ٭ ومما يلزمه أن يتحفظ منه أيضا ويروض نفسه به أن لا يصحبه ولا يعيبه ولا يشمته ولا يستخبره وانما ترك ذلك كله لما فيه من تكلف الجواب وليس من حق المنادم ذا الرياسة والسلطان اذا تبين لنديمه منه لين الخلق ووطاء الكنف وخلع ثوب الكبر أن يستعمل معه من الدالة ما يجحد حق رياسته ويقدح معه في سلطانه ويفسد عليه تدبيره ويقال ينبغي لمن خص بالسلطان أن يستعد للذنب ليجتنبه وأن يكون آنس ما كان به أوحش ما يكون منه فان سلم من ذلك كله فواجب عليه أن لا يخل بتوقي الملال والضجر زمن وقوعه وقد قال عبد الله بن جعفر من أعظم الخرق الدالة على السلطان ٭ وبينا المأمون ينادم ابراهيم بن المهدي بعد رضاه عنه وتغمده ما كان منه تبين منه دالة اذ كره بما تقدم من ذنبه فنهض وأمر باقراره ومن كان معه على حالهم ثم صار الى مجلس جده فاستوى على سريره وتزيا بزي الخلافة واختصر القضيب وتجلبب بالبردة وجمع الجنود في السواد والاسلحة ومد السماطان وشهرت السيوف والاعمدة ثم احضر ابراهيم فعندما وقف ماثلا بين يديه اطرق عنه مليا ثم رفع رأسه وابراهيم يرعد فقال يا ابراهيم ما حملك على ما كان منك قال كرم خلال صاحبه يا أمير المؤمنين فكنت جديرا بحفظه عليه

حتى أعاده الله اليه وقد سبق من عذر أمير المؤمنين ما لا أخاف عليه المؤول عليه فقبل عذره وأحسن جائزته ورده الى مكانه وعاد المأمون فى مجلس الندام من وقته (وخبرنى) أبى عن أبيه رحمهما الله قال كان ينادم اسحق بن ابراهيم الطاهرى جوهرى من جلة التجار ووجوههم حتى خص به وتبين لطف موقعه منه ولم يكن أحد يتقدمه عنده وكانت فيه دالة وممه أدب يستحق له تلك المنزلة قال فانه لمعه ذات يوم والستارة منصوبة اذ وصف للمتوكل فص كبير جليل المقدار كان وقع الى هذا الجوهرى فوقع الى اسحق باحضاره هذا الرجل ومطالبته بالفص ومناظرته على ثمنه ووافى التوقيع فلما نظر اليه دعا بالجلادين والسياط فامر بتجريد الرجل فقال أيها الامير ما قصتى ما سببى فلم يذكر له شيأ حتى نصب بين العقابين وكاد السوط أن يأخذه فلما علم انه قد رهب وسكر قلبه من الرعب والهيبة ما انساه الدالة والمنادمة قال له فص عندك من حاله وصفته فقال احضره الساعة فيأمر الامير باطلاقى حتى آتيه به قال لا سبيل الى ذلك فدعا بدواة وقرطاس وكتب وهو فى تلك الحال الى ثقته فى منزله بعلامة قوية وأمر باحضاره الفص فاحضر فى منديل وختم عليه وأنفذه ثم قام بنفسه الى الرجل فتولى حل وثاقه واعتنقه وخلع عليه من فاخر كسوته وقال لم يكن من حق السلطان الامارأيت ولو لم أفعل ذلك لما أمنت دالتك ولا كنت تخرج مثل هذه العقدة النفيسة بجميع اعطائك ولحقنى من امير المؤمنين ما يفسد حالى وحالك فسكن الرجل الى عذره وقبله

باب ما يلزم الرئيس لنديمه

قد ذكرنا من حال الرؤساء فيما يستبدون به دون ندمائهم بجلال السلطان وخطر الرياسة ما أوجزناه وليست تلك الحال خاصة الا للملك الاجل الذي لا يسعه الاخلال بالهيبة فاما من دونه فالانصاف في المنادمة واغلاق باب التدفع والتحفظ وايثار الانبساط والتبذل أولى بهم وأدل على كرم العشرة وحسن الصحبة وعلى انه قد كان من الخلفاء والامراء من يتوخى هذه الحال مع مجالسيه ومنادميه كفعل عمر بن عبد العزيز وطرقه رجاء بن حيوة فنهض فاصلح السراج وعاد الى موضعه فاكبر ذلك رجاء فقال قمت وأنا عمر وعدت وأنا عمر * ويزيد وكان ينادم الاخطل وهجا الاخطل الانصار هجاء كثيرا فاجاره منهم وكان يسوي بينه وبينه في أكرم المواضع من مجلسه وهو أمير * والوليد بن عقبة ولم يزل ينادم أبا زبيد الطائي واليا ومعزولا على وتيرة واحدة من الانصاف لا ينتقل عنها ويجله ويعظمه ولا يقدم أحدا عليه حتى هلك أبو زبيد فوجد عليه وجدا شديدا ثم اعتل فيقال انه دفن الى جانبه ومر بقبريهما أشجع ابن عمرو السلمي ومعه صديقان له يقال لهما حمزة وسعيد فوقف بهما ثم قال

مررت على عظام أبي زبيد * رهينا تحت موحشة صلود
نديم للوليد ثوى فأضحى * مجاور رمسه قبر الوليد
وما أدري بمن قصر المنايا * بأشجع أو بحمزة أو سعيد

فيقال انهم ماتوا على هذا النسق اولا اولا * والوليد بن يزيد بن عبد الملك نديمه أبو كامل الذي يقول فيه

من مبلغ عنى أبا كامل * أنى اذا ماغبت كالذاهل

وحكى عن الرشيد من حسن المجالسة ولطف البر فى الاوقات كانما يجاوز هذا كله رهوان الفزارى قال دخلت اليه مرة فى قصر الخشب ولم يكن معه الا الثالث غير من يقوم بين يديه من خاصة حشمه فتحاورنا مليا ثم أومأ الى بعضهم فجاء بطبق كبير مغطى بمنديل فاستخرج رطبة فاكلها ثم استخرج أخرى فأومأ بها الى فقمت فتناولتها وقبلت يده ثم أمر برفع المنديل فلما رفع لم أر فى الطبق شيأ فقال انه كان فيه رطب أهدى لنا من العراق ولا تحين الرطب ولم يكن فى غير ما رأيت فعلمت انه أمر بتغطيته لئلا أرى قلته فامتنع من أكل الرطبة التى ناولنيها وأوفرها عليه * وقد رأينا جماعة من جلة الرؤساء وعظماء أصحاب السلطان يبتذلون أتباعهم ويمتهنونهم فى الخدمة فيما يرفعون عن مثله بعض مماليكهم فاذا خلوا معهم للمنادمة استورت بهم العشرة فاوسعوهم من المبرة والتكرمة وربما تجاوزوا فى ذلك الحد فخدموهم وأخدموهم أولادهم واتصبوا وأتكؤهم وتأخروا فى المجالس وصدروهم فلا يقدح ذلك فى رياستهم ولا يحط من منزلتهم بان تسترق لهم قلوبهم ويستخلص به نياتهم وأنشد فى منشد

فتى اذا ما الحرب قامت به * قام مقام الاسد الورد
كانه عبد لاخوانه * وليس فيه خلق العبد

(وقال آخر)

واني لعبد الضيف مادام نازلا * ومافيَّ الا تلك من شيم العبد

ويلزمه أن لا يسقيه من غير ما يشربه الا باختياره واستدعائه شرابا يستصلحه ويرى انه ملائم لجسمه فيسقيه مما يلتمسه من موجوده ولا يمنعه كل ما يستزيده من المزاج ٣ ولو لم يتجنب ماذممناه في تلوين الشراب الا ما سار في هذا المعنى من قول الشاعر

رأيت نبيذين في مجلس * فقلت لاخواننا ما السبب
فقالوا الذي نحن في بيته * يفضل قوما لسوء الادب

وقال العطوي

نبيذان في مجلس واحد * لتفضيل مثر على معسر
فلو كنت تفعل ذا في الطعام * لزمت قياسك في المسكر

وكان بعض الكرماء يأخذ نفسه باحضار الدن بطينه فيصبه حيث يراه اخوانه ويشاهدونه فيبزله بين أيديهم ويملأ منه الآنية حتى يتيقنوا ان الشراب واحد لا خلط فيه * ومن أبين الانصاف في هذا الباب ان يفرد كل نديم بآنية لمزاجه ويحكم على نفسه ويقلد سقيها على حسب طاقته واحتماله الا من كان متجملا غير متسع في الآلة والآنية فيهما يعجزه وتعذر عليه من ذلك فان العدل في السقي يمكنه ولا يعجزه ويستحسن لابي نواس نحو هذا

ولست بقائل النديم صدقي * وقد أخذ الشراب بوجنتيه
تناولها والا لم اذقها * فيأخذها وقد ثقلت عليه
ولكني اجيد الكاس عنه * وأتركها بمغرز حاجبيه

٣ قوله ولولم الخ جواب لو محذوف تقديره لكان مثلا

فان طلب الوساد لنوم سكره * دفعت وسادتى أيضا اليه

ومثله قول السرى بن عبد الرحمن فى ظرفاء من الحجازيين

اذا أنت نادمت العتير وذا الندى

جبيرا ونازعت الزجاجة خالدا

أمنت بحمد الله ان تقرع العصا

وان يوقظوا من نومة السكر راقدا

وخالف الحسن أصحاب الى نواس فى ابياته فقال

يا مدير الكاس حييت على الكاس مديا

ساقول الدهر أحسنت وان كنت مسيا

لست استعفيك من حبك فى السقى عليا

وفيها يقول

قد حلبت الدهر طورين خليا وشجيا

فارى من عدم الصحوة والكاس شقيا

وجود بعض الكتاب فى قوله

ولست بمستعف من السكر صاحبا

اذا كان يهوى ان اصير الى السكر

ولكننى أسعى الى السكر واثقا

بما فيه ان اخطأت من سعة العذر

وان هو أعفانى سكرت ولم أكن

لاكثر من شرب يزيد على القدر

باب الادب فى الشطرنج

واما الشطرنج فليس غرضنا ذكر فضائلها فنعدد من ذلك ما نسهب فيه ونأتي بما ذكره المتقدمون ونجتهد في الزيادة عليه وانما نتوخى التنبيه على ما يحتاج اليه النديم في حال اللعب بها من الادب الذي يقرب به من قلب رئيسه عند مقابلته ايا بجمعه بين على الشطرنج فانه لا يكون بينهما الا مساحة الرقعة واعلها لا تزيد على الذراع كثيرا والزمان بينهما يطول فيها فواجب على النديم ان يحفظ من نفسه ويتعهد من احوال ظاهر جسمه وباطنه وشاهده وغائبه ما يامن معه أن يسبق الى طرف الرئيس وانفه من جهته حال يذمها وليكن على اوكد ثقة بنقاء فيه من الخلوف وثوبه من الدنس ومغابنه من الدرن بتوفية هذه الاشياء حقها من التنظيف والتطييب وليس حق نفسه عليه اذا كان عالي الطبقة ان يخسها حظها ولا يحطها عن درجتها توهما ان تمابيه للرئيس ألطف لمنزلته عنده وأعطف بقلبه عليه كما انه ليس من الرئيس المصطفى له عليه أن يتصور بصورة من يغالطه ويسخر منه باعطائه ما ليس له وعلى ان عقول الرؤساء أقوى وفطنهم أرق من أن يجوز عليهم مثل هذا ولم توضع الشطرنج على الانصاف والعدل ويدلك على ذلك ان أصلها التكافؤ والقيام اذا وفي النظار والحساب من كلا الجهتين حقهما وأخبرني أبو الحسين على بن أحمد الكاتب ان أبا بكر الصولي لما حضر مجلس المكتفي بالله أمير المؤمنين في ابتداء دخوله وكان قبله الماوردي أثيرا عنده متمكنا من قلبه معجبا بلعبه فلما لاعبه الصولي بين يديه جعله حسن الرأي في الماوردي والالف له على نصرته وتشجيعه

وتنبيهه حتى أدهش ذلك أبا بكر في أول وهلة ثم لما اتصل اللعب
بينهما وقصد أبو بكر قصده غلبه غلبا لم يكد يرد عليه معه دستا
وتبين الحق للمكتفي فعدل عن الهوى وقال للماوردي صار والله
ماء وردك بولا * و بلغني أنه رأى بساتين مونقة وزهرا حسنا فقال
لجلسائه وندمائه هل رأيتم منظرا أحسن من هذا فكل قال فيه
شيئا ذهب فيه الى مدحه ووصف محاسنه وانها الاتي لا يفي بها شئ
من زهرات الدنيا فقال لعب الصولي أحسن من هذا الزهر ومن
كل ما تصفون * ومما يستعمل على الشطرنج النوادر المدهشة وأقول
انها في تلك الحال بمنزلة الارتجاز الذي يستعمله المقاتل عند اللقاء
والحادي عند الاعياء والماتح عند الاستقاء فهي من عدة اللاعب كما
ان الشعار والارتجاز من آلة المحارب وقد قيل في ذلك

كم من ضعيف اللعب كانت له * عونا على مستحسن القمر

ولست أستحسنها الا في موضعين * أحدهما عند وقوفك على الضربة
الغريبة الحسنة الدقيقة وامكانها اياك بان يكون اللعب لك وفي يدك
مثل الشجاع الذي اذا رأى مساغا لنابيه صمم وان شغلت نفسك بتلك
الاعابيث وانت مختل اللعب مرتا للغلب انقطعت بذلك عن
الصواب وان لم يكن اللعب في يدك نبهت بما تظهر في ذلك العبث من
نشاط خصمك على تفقد ما لاح لك فقصر زمنه * والآخر عند وقوفك
على امكان الضربة الجيدة لصاحبك وتهيئها له دونك فانت بما تستعمله
في تلك الحال تشغله وتدهشه حتى يكاد يعمى عن رشده واذا كان القمر
لك فاحسن احوالك الترك على الاحسان ان كنت مختارا وكذلك ان

انصل القمر عليك لان الالحاح واللجاج لا يزيدك الا بلادة وقد قيل في الشطرنج اشعار كثيرة فاما طوالها فكثر فيه الحشو بما اضطر اليه القائل من الاقتصاص وقلما اقتصت حال في شعر الا كان مضعوفا الا أبياتا كثر الشك فيمن تعزى اليه وأولها

أرض مربعة حمراء من أدم
ما بين خلين موصوفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها شبها
من غير أن يأثما فيه بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على
هذا يغير وعين الحزب لم تنم
فانظر الى خيل جاشت بمعرفة
في عسكرين بلا طبل ولا علم

وأبياتا تعزى الى أبي الحسين أحمد بن محمد بن ابي البغل الكاتب وهي

فتى نصب الشطرنج كيما يرى بها
غرائب لا تسمو لها عين جاهل
فابصر أعقاب الاحاديث في غد
بعينين مجد في مخيلة هازل

وأجدى على السلطان في ذاك أنه

اراه بها كيف اتقاء الغوائل
وتصريف ما فيها اذا ما اعتبرته
شبيه بتصريف القنا والقنابل

قوله خيل لعله بلا وزن اه مصححه

وأما النرد ففيها أنواع من اللعب وصنوف من الترتيب والنصب الا ان عدد البيوت واحد لا نقص فيه ولا زيادة على الاصل المتعارف والفصان فيها محكمان وصاحبها مع ذلك وان لم يكن مختارا وكان منقادا الى حكم الفصين محتاج الى ان يكون سريع النقل رشيقه صحيح الحساب مصيبه حسن الترتيب جيده ولبعض الادباء فيها أبيات وهي

لاخير في النرد لايغني ممارسها
فضل الذكاء اذا ما كان محروما
تريك أفعال فصيها بحكمها
ضدين في الحال ميمونا ومشؤما
فما تكاد ترى فيها أخا أرب
يفوته القمر الا كان مظلوما

(وكتبت الى صديق لي اذم النرد اليه وكان بها معجبا)

أيها المعجب المفاخر بالنر
د ايزهى به على الاخوان
قد لعمري سرحت جهدي على لبث
كذا لو لم يأتك الفصان
غير أن الاريب يكذبه الظن
ويمنى بشدة الحرمان
ولعمري ما كنت أول انسا
ن تمنى فخانته الاماني

واذا جاءت القضاة بحكم
لم يحد عن قضائها الحكمان

وأنشدت لابي نواس في النرد

ومامورة بالامر تاتى بغيره
ولم تتبع في ذاك غيا ولا رشدا
اذا قات لم تفعل فليست مطيعة
وأفعل ما قالت فصرت لها عبدا

انتهى بنا القول الى هذه الغاية وفى بعض ماقدمنا كفاية لذى التمييز والفطنة وهداية الى كريم الاخلاق فى المنادمة وان لم نكن أعطيناه مايفى بشرطنا فى التثبيت فقد نبهنا بيسير ما تهيأ أن نذكره على الجليل ودللنا بالقليل منه على الكثير ونرجو أن نسلم مع ماقصدنا له من الحض على جميل المروءة ونهجنا من السبيل الى حسن العشرة عما يعنى به مؤلف الكتاب من المطاعن ويستهدف له من المعايب ان شاء الله تعالى

نحمدك يامن زينت الانسان بحلية الادب ورفعت به شان النديم فسما أسنى الرتب والصلاة والسلام على أشرف من تكملت به الآداب وأفضل من أوتى الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله أولى الاخلاق الشريفة وأصحابه ذوى المناقب والفضائل المنيفة (وبعد) فيقول المتوسل بجاه النبى الخاتم خادم التصحيح بدار الطباعة محمد قاسم قد تم بالمطبعة الاميرية ببولاق التى أينعت

ثمارها بسائر الآفاق طبع أدب النديم المسفر عن كل خلق
جميل قويم لمؤلفه العلامة الفاضل النحرير اللوذعي الكامل
مرصع الطروس بلآلئ نظامه محلى نطاق البلاغة بجواهر كلامه
من سجعت ورق ألفاظه بفنون الادب على أفنان المعارف
وأشرقت مطالع بيانه بأنوار بدور اللطائف أبي الفتح محمود كشاجم
ابن الحسين أنعم الله تعالى عليه فى دار الكرامة بما تقر به العين
ولعمري انه لكتاب عديم المثال عزيز الوجود بعيد المنال يرشدك
كيف تنادم الملوك والامراء وينبهك على شمائل الظرفاء واللطفاء
فلله دره ما أثمن درره وما أبدع فوائده وغرره يروق الانظار
بسلاسة مبناه ويعجب النظار بجزالة معناه هذا وكان طبعه
الفاخر ووضعه الانيق الباهر على ذمة من حمدت اراؤه فيما
يعيد ويبدي سعادة محمد بك حمدي فى ظل من نضرت به الايام
وشملت بهوامع احسانه الانام صاحب السعاده وكوكب أفق
السيادة والمجاده من هو بمحاسن الثناء عليه حقيق الخديو الاعظم
محمد توفيق لازالت مصرنا آمنة به فى ظلال رياض عدله رافلة
فى مطارف عزه وفضله مشمولا طبعها بادارة صاحب نظارتها
المشمر عن ساعد الجد فى تحرير انظارها ونضارتها من جواد براعه
فى ميدان البراعة سباق الى الغايات سعادة على بك جودت مدير
الوقائع المصرية وناظر المطبوعات ملوحة بنظر من به المعارف الى
ذروة الكمال رقت وكيلها حضرة عبد الله افندى خيرت
وملاحظة البارع الامجد حضرة ابى العينين افندى احمد وطلع

بدر تمامه وفاح عبيره ومسك ختامه في أوائل رجب الحرام
عام ثمان وتسعين ومائتين وألف من
هجرة سيد الأنام صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه
وكل ناسج على
منواله
تم